● نحن والمجتمع

## مفهوم الحرية في الإسلام

**الوفاق / وكالات** الحرية مطلب إنساني ينسجم مع الفطرة السليمة، فيسعى الإنسان أن يكون حرّاً وغير مأسور في مختلف الميادين، المعنوية، الاجتماعية، والطبيعية وغيرها.

### الإسلام وهبنا الحريّة

بما أن الإسلام هو دين الفطرة فنجد أن النصوص الإسلامية تتواءم مع هذه الفطرة، عن الإمام علي(ع) : "أيها الناس إنَّ آدم لم يلد عبداً ولا أمة، وإنَّ الناس كلهم أحرار".

وبالتالي فإنَّ الأرض الخصبة لنمو الحرية وتوافرها هو النظام الإسلامي وأحكام الإسلام، بل النظام الإسلامي هو الضمان للحرية، يقول الإمام الخميني (قدس) "إنَّ القانون الإسلامي هو الذي يعطي الحرّيات والديمقراطية الحقيقية، علاوةً على ضمانة استقلال الدول".

### حدود الحريّة

هناك نظرتان مختلفتان لمفهوم الحرية، الحرية بالمعنى الغربي، والحرية بالمعنى الإسلامي. فالغرب يرى أن الأساس الذي تُبنى عليه الحرية هو ما يختاره الإنسان ولا يصل إلى منازعة حرية الآخرين، لكن يُرد على هذه النظرة أمور: منها: وفق هذا المبدأ لا بد من احترام كل عقيدة يؤمن بها الإنسان حتى لوكانت خضوعاً أمام حجر أو عبادة للبقر، وهذا ما لا يقره عاقل. وأيضاً لو اختار هذا الإنسان أن ينساق وراء شهواته المحرّمة مما يؤدّي إلى تسافله، وفقده لقيمته الإنسانية، فهي تعني انحدار الإنسان من رتبته الإنسانية إلى الرتبة الحيوانية. فإفساح المجال للآخرين إلى التهتك والانفلات ليس من الحرية في شيء، ولا شك أن الحرية بالمفهوم الغربي تؤدي إلى نتائج وآثار مدمرة، ولا تخلو من قصد سيئ ونية مبيتة، ولهذا يرفض الإسلام هذا النوع من الحرية الباطلة.

### الحرية بالمفهوم الإسلامي

أمّا الحرية بالمفهوم الإسلامي، فهي غير مفصولة عن الهدف الذي وُجد الإنسان من أجله، وهو تكامله ورقيّه ونيله أرفع المراتب في هذا الوجود، فالإنسان العاقل حرٌ في دائرة الطريق الموصل إلى هدفه المنشود، فالتكاليف الإلهية والقوانين الربانيّة التي شرعها الله "عز وجل" تجلب إلى الإنسان المصالح وتدفع عنه المفاسد، فينتج عنها تكامله المعنوي والمادي، وبالتالي سعادته في الدارين الأولى والآخرة. فالسير ضمن الطريق الذي شرّعه الله عز وجل هو الحرية الحقيقية، لأنّه يوصل الإنسان إلى سعادته وكماله، ولا يفصله عن الهدف المأمول.

فمن البديهي للإنسان الساعي لتحقيق هدفه أن يقيّد رغباته بما يحقق هدفه ويتناسب معه، فإذا أردنا أن نتحرر من ذل الجهل فعلينا أن نلتزم بقيود التعلم، وبالتالي لا بد أن تُفهم الحرية على أساس رفع القيود التي تشكل مانعاً دون تحقيق الهدف المنشود، حتى وان كان ذلك لا يتم إلا عبر تشريع قيود، فالإسلام إنما يشرع القوانين ويضع الحدود للحرية، لأنه يرى أن هذه الضوابط ضرورية للحفاظ على الحرية وضمان استقلال شخصية الإنسان الفردية والاجتماعية، فمن هنا صرّح الإمام قدس سره بعدم استغلال الحرية والتذرع بها لأجل الوصول إلى المآرب الفاسدة يقول الإمام (قدس): "احفظوا حدود الإسلام، ولا يُساء استغلال الحريات، فالحرية مقيدة بحدود الإسلام".

المفكر التونسي الدكتور عماد حمروني للوفاق:

# دعم مسلمي أوروبا ضرورة لمواجهة الإسلاموفوبيا

**الوفاق/ خاص**
مرضيه متوليان

إنّ حرق القرآن الكريم ليس أمراً جديداً بل مارسه منذ سنوات بعض المتطرفين في الولايات المتحدة الأمريكية والدانمارك والسويد وغيرها من البلدان بأهدافٍ مختلفة. وقبل مضي سنوات تمّ إنتاج فيلم وثائقي عن كواليس حرق القرآن الكريم في الغرب من إخراج الوثائقي الإيراني "عباس لاجوردي"، وقام الأخير بإجراء مقابلات مع حارق المصحف الشريف وطرح عليهم أسئلة عما قاموا به. حينما كان يسألهم إن أطلعوا على الآيات القرآنية فكان جوابهم:" أننا لم نقرأ حتى آية واحدة من القرآن". هنا يخطر سؤال ببال كل متابع لهذه الأحداث وهو لماذا يقوم هؤلاء بذلك العمل الإجرامي ومن الذي يقف خلف كواليس هذه الأعمال؟ للكشف عن ذلك أجرت صحيفة الوفاق حواراً خاصّاً مع المفكر التونسي والأستاذ الجامعي في اختصاص الجيولوجيا السياسية في جامعة باريس الدكتور عماد حمروني وإليكم نص المقابلة:

### ما هي جذور الإسلاموفوبيا وأسباب انتشارها في الغرب؟

أولاً ماذا يعني مصطلح "الإسلاموفوبيا" ومتى ظهر وأين ؟ الإسلاموفوبيا كلمة مستحدثة، تتكون من كلمتي إسلام وفوبيا، ويُقصد بها الخوف أو الرُهاب الغير العقلاني من شيء يتجاوز خطره الفعلي المفترض. يُعرف قاموس أكسفورد الإنجليزي الإسلاموفوبيا بـ"الخوف والكراهية الموجهة ضد الإسلام، كقوة سياسية تحديداً، والتحامل والتمييز ضد المسلمين"، وكذلك عرّف باحث الدين المقارن السويدي "ماتياس غارديل" المصطلح بأنه "الإنتاج الاجتماعي للخوف والتحامل على الإسلام والمسلمين، بما في ذلك الأفعال الرامية لمهاجمة أو التمييز ضد أو عزل أشخاص بناء على افتراضات ارتباطهم بالإسلام أو المسلمين".

هذا وقد ظهر الاستخدام الأول للمصطلح في اللغة الإنجليزيّة، طبقًا لقاموس أكسفورد، في عام ١٩٢٣ في مقال في "مجلة الدراسات اللاهوتيّة The Journal of Theological Studies"، دخل المصطلح بعد ذلك للاستخدام العام بنشر تقرير رونيميدي ترست عام ١٩٩٧. "أكّد كوفي عنان في مؤتمر عام ٢٠٠٤ بعنوان [مواجهة الإسلاموفوبيا] على أهمية صياغة هذا المصطلح من أجل مواجهة التعصُّب المتزايد للإسلام".

شكلت" رونيميدي ترست" عام ١٩٩٦ لجنة عن المسلمين البريطانيين والإسلاموفوبيا برئاسة غوردون كونواي، نائب مستشار جامعة ساسكس، وكان عنوان تقرير اللجنة كان الإسلاموفوبيا: "تحدٍ لنا جميعاً"، ونشره وزير الداخلية البريطاني السابق "جاك سترو". وقد تم تعريف الاسلاموفوبيا وفق التقرير باعتبارها "نظرة إلى العالم تنطوي على كراهية ومخاوف لا أساس لها ضد المسلمين، تؤدي إلى ممارسات تمييزية وإقصائية"، يشمل ذلك الآراء التي تجادل بأن الإسلام لا يشترك مع الثقافات الأخرى في أي قيمة، أنه أحط وأدنى منزلة من الثقافة الغربية، وينبغي اعتباره قوة سياسية عنيفة وليس مجرد معتقد ديني. تقول "رونيميدي ترست" لا يوجد كيان واحد للإسلاموفوبيا، فهناك "إسلاموفوبيا" ولكل منها خصائص مميزة.

تزايد تجلّي المظاهر الإسلامية بقوة داخل المجتمعات الغربية مثل الحجاب والمساجد من ناحية وتنامي الأزمات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية في العقود الأربعة الأخيرة وصعود التيارات العنصرية واليمينية المتطرّفة سرّع في إنتشار "الإسلاموفوبيا" في الغرب. وقد ساهمت الأعمال الإرهابية من طرف الجماعات السلفية المتطرّفة في العشرية الأخيرة ووصول آلاف اللاجئين خاصةً من سوريا والعراق وأفغانستان جرّاء الحروب التي تشنّها أميركا وحلفائها في المنطقة إلى تأجيج مشاعر العنصرية والرهاب ضد الإسلام والمسلمين، و يجب أن لا ننسى دور المخابرات الصهيونية في تأجيج حالة العداء بين الغرب والمسلمين خدمةً لمصالح أمنها القومي وضمان دعم الغرب للكيان الصهيوني عسكرياً ومالياً وسياسياً، قد نجحت إستخبارات العدو في نشر "الإسلاموفيا" من نشرها لصور الكاريكاتور المسيئة للرسول الأكرم (ص) في أكثر من مناسبة وحرق نسخ من القرآن الكريم وتشجيع الكراهية ضد المرأة المسلمة الملتزمة بالحجاب.

جذور "الإسلاموفوبيا" قديمة منذ منتصف القرن التاسع عشر عندما إستعمر الغرب أغلب الدول والشعوب الإسلامية وعمل ومازال على مسخ هويتها الدينية والثقافية ومنع أي عودة لروح الإسلام المحمدي الأصيل.

### ما هي الطرق الفعالة لمواجهة الاسلاموفوبيا في الغرب ؟

يمثّل المسلمون اليوم ما يقارب ٧ إلى ١٠٪ من عموم سكّان دول الإتحاد الأوروبي وسيبلغون ١٧ إلى ٢٠٪ من مجموع السكّان بحلول سنة ٢٠٥٠ وهم يُعدون السكان الأصغر سناً والأكثر خصوبة، لذلك لديهم قدرات ذاتية مهمة لمواجهة موجة الكراهية والعنصرية ضدهم لكن هذا لا يكفي، يجب على الدول الإسلامية الكبرى المؤثّرة في العالم مثل جمهورية إيران الإسلامية، المملكة العربية السعودية، تركيا، الجزائر والمغرب دعم مسلمي أوروبا وأميركا وكندا وأستراليا للدفاع عن حقوقهم المدنية وتطوير مستواهم العلمي والإجتماعي وتشجيعهم على الإندماج الإيجابي داخل المجتمعات الغربية وإرسال مؤسسات إعلامية متطورة تُعنى بشؤون مسلمي الغرب، والعمل بجد لكبح عنصرية الغرب عبر فرض بنود توجب إحترام الإسلام والمسلمين في البلدان الغربية عند توقيع أي إتفاقات إقتصادية وسياسية ومالية مع الغرب.

### ما هو دور القادة الدينيين والأكاديميين والناشطين في مواجهة الاسلاموفوبيا وإحداث التغيير؟

أمام موجة الكراهية والعنصرية في الغرب ضد الإسلام والمسلمين التي تُديرها الدوائر الصهيونية العالمية يجب على علماء الدين والمثقفين و القادة السياسين تحمّل مسؤولياتهم و القيام بتكليفهم الشرعي في الدفاع عن القرآن العظيم والنبي الكريم (ص) وتبيين مقاصده بلغةٍ عصرية منفتحة وإرسال مبلغين غربيين لشعوبهم خاصةً الشباب للتعريف بالإسلام المحمدي الأصيل.

### ماهو تأثير الإسلاموفوبيا على حياة المسلمين في الغرب؟

يملك مسلمو الغرب الشجاعة الكافية للدفاع عن كيانهم ولا تأثير مباشر لتيارات "الإسلاموفوبيا" على وجودهم فهم ملتزمون بقوانين الدول التي يقطنونها من ناحية، ومن ناحية أخرى لن يتنازلوا عن حقوقهم المدنية وخاصة حقّهم في ممارسة شعائرهم الدينية.

التأثير الأكبر هو في بطء إندماج الشباب في سوق العمل والتعامل العنصري في بعض الإدارات مثل الشرطة ممّا أدّى إلى مظاهر العنف والفوضى التي نشاهدها من حين لآخر في فرنسا وبريطانيا والدانمارك وألمانيا على سبيل المثال.

### ماهي أفضل طريقة لنشر الوعي بالثقافة والقيم الإسلامية في المجتمعات الغربية بهدف تقليل الاسلاموفوبيا؟

أفضل الطرق لنشر الوعي بالثقافة الإسلامية هي: تخصيص برامج يعدّها ويقدّمها شباب مسلم غربي باللغة الإنكليزية والإسبانية والفرنسية تُعنى بالشأن التربوي والثقافي والروحي، إنشاء مؤسسات إقتصادية ومالية خاصة بالمسلمين بالغرب تشجّع إنتاج المعرفة والعلوم والفنون، تشجيع الوحدة الإسلامية عملياً و ليس فقط خطاباً ونشر ثقافة المودة والرحمة والأخوة الإسلامية، إرسال مؤسسات تُعنى بالتقارب الإسلامي/ المسيحي وتهتم بالمحافظة على نظام الأسرة كما شرّعه الله "عز وجل" والتعريف المشترك بالقيم الروحية والإنسانية.

«يجب على الدول الإسلامية الكبرى المؤثّرة في العالم مثل جمهورية إيران الإسلامية، المملكة العربية السعودية، تركيا، الجزائر والمغرب دعم مسلمي أوروبا وأميركا وكندا وأستراليا للدفاع عن حقوقهم المدنية وتطوير مستواهم العلمي والإجتماعي وتشجيعهم على الإندماج الإيجابي داخل المجتمعات الغربية

● كتب تاريخية

## كتاب الإسلام والغرب.. نحو عالم أفضل

**الوفاق/ وكالات**

الإسلام والغرب: نحو عالم أفضل، عنوان كتاب أصدره مركز الجزيرة للدراسات في قطر، يتضمن مجموع الدراسات والعروض التي قدمت في الندوة التي نظمها المركز تحت عنوان "الإسلام والغرب"، ويقع الكتاب في مئتين وتسع وسبعين صفحة من القطع الكبير.

والكتاب هو ثمرة سؤال طُرح على أكثر من عشرين باحثاً من العالمين العربي والغربي، ومدار هذا السؤال كان حول سُبل تحقيق عالم أفضل ينعم فيه المسلمون والغربيون على السواء بأسباب العيش الكريم والطمأنينة والسلم والأمان.

وتكمن قيمة هذا الكتاب في تعدد مشارب المساهمين فيه، بالدرجة الأولى. فَهُم فضلاً عن اختلاف مرجعياتهم الحضارية والثقافية والدينية، وانتماءاتهم القومية، وولائهم السياسي، يتميزون كذلك بتنوع تخصصاتهم العلمية وتعدد مهامهم ووظائفهم، إذ وجد من بينهم الدبلوماسي، والسياسي، والباحث، والإعلامي، والمحلل السياسي، والأديب، ورجل القانون.

وسيلاحظ قارئ الكتاب أن هذا التنوع في المقاربة، إذا لم يغن التفكير ويعمق النظر في سؤال العلاقة بين الإسلام والغرب، فلا أقل من أنه تنوع يُنبه إلى خطر الاكتفاء بالنظر إلى الأشياء من زاوية نظر واحدة.

لا يخفى ما لسؤال العلاقة بين الإسلام والغرب من أهمية في هذه المرحلة من مراحل التاريخ، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر ٢٠٠١، إذ ان هذه الأحداث ساهمت في تعميق هوة الخلاف بين الحضارتين، الإسلامية والغربية تحديداً، وفي إمداد نظريات الصراع الحضاري والصدام الثقافي عموماً بوافر الشرعية وإضفاء صبغة العلمية عليها. وإذا كانت الجماهير، قبل هذه الأحداث، تتساءل عن مدى صحة القول بحتمية الصدام بين الحضارات، فإن هذه الجماهير نفسها، خصوصاً في الولايات المتحدة الأمريكية، انتقلت بعد الأحداث إلى طرح سؤال آخر مضمونه: لماذا يكرهوننا؟

وفي هذا الانتقال ما يؤشر إلى أن نظرية الصراع أحكمت طوقها حول العقول؛ إذ لم تعد محط تشكيك أو مساءلة، بل صارت مرجعية معتمدة في إنتاج أسئلة جديدة. ومع هذه الأسئلة الجديدة المتفرعة عن سؤال الصدام والصراع، يبدو أننا مؤهلون للانخراط في ما سمّاه باحث آخر لعبة الهويات القاتلة. مع هذا المنطق وهذه اللعبة يخفى على الإنسان عيب نفسه كما تخفى عليه محاسن غيره، فيتمادى في ذم الآخر حتى يجرده من إنسانيته، كما لا يقتصد في مدح نفسه حتى ينزهها عن الخطأ والنقص الإنسانيين.

بطرح سؤال العلاقة بين الإسلام والغرب، فإن هذا الكتاب يتحدث بوعي في تراث الأمة وعن ضرورة الخروج من مأزق الهويات القاتلة. وإذا وجد هناك من يرى في الاختلاف مدعاة للتطاحن والتنافر والتباعد والتعاند، فإن الكتاب يرون فيه مدعاة للتعارف والتقارب والتداخل، عملاً بمقتضى قوله تعالى في كتابه الكريم: (يا أيها الناس، إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، فليس في الإسلام، ما يدعو للتصادم والتصارع. كما أن الغرب لا يخلو من عقلاء اشتغلوا على امتداد تاريخ الحضارة الغربية على ردم الهوة الفاصلة بينهم وبين الإسلام.

تكمن قيمة هذا الكتاب في قدرته على تهيئة المناخ النفسي اللازم للتفاكر والتناظر، بعيداً عن أجواء التوتر التي تشهدها الشوارع في العالمين الإسلامي والغربي. وهو ليس فرصة يقتنصها هذا الطرف ليفحم ذاك، بل هو لقاء نخب مسؤولة تجتهد لتعين مكامن الاختلاف والالتقاء بين العالمين، فتحدد سبل تجنيب البشرية مأساة التناحر.

من هنا يمكننا الجزم بأن الكتاب توفق في بلوغ ما كان يرمي إليه انطلاقاً، فهو كتاب يسهم في توسيع آفاق الإدراك لواقع العلاقة بين الإسلام والغرب، كما يُمَكّن للغة التحاور والتواصل، ويفتح أمام العقل آفاقاً إنسانية واسعة تستوعب الذات والغير.